

المحاضرة الثانية

name professor subject : Adel Rashid Hussein

اسم استاذ المادة : عادل رشيد حسين

Subject name : Geographical thought

اسم المادة : الفكر الجغرافي

اسم المحاضرة : تطور المعرفة الجغرافية

Presentation neme : The development of geographical knowledge

تطور المعرفة الجغرافية

اعتمدت الحضارة العراقية القديمة على اسس متعددة من المعارف العلمية ، ومن تلك المعرفات التي استندت عليها الحضارة العراقية القديمة علم الجغرافية والفالك .

بالنسبة إلى الجغرافية فقد نشأت عند سكان وادي الرافدين والاقدمين بداية ما نسميه علم البلدان والجغرافية، ومما يقال عن فكرة البابليين لما في هذه الأرض أنهم تصورو الأرض وما فيها صورة أو نسخة لما في السماء فالفرات ودجلة وجميع الأراضي والبلدان وحتى المعابد صور ثانية لاصول موجودة في السماء ، وتصورو الأرض بهيئة نصف كره مقلوبة او قبة طافية في المحيط وتعلو الأرض السماء وهي بثلاث طبقات او سبع طبقات وهي كذلك بهيئة القبة وتقوم السماء كالبيت فوق اساس وقسموا الأرض إلى ثلاث مناطق : المنطقة العليا وهي الظاهرة التي يسكن فيها البشر ، والأرض الوسطى موضع المياه ، والارض السفلی التي فيها موضع ارواح الموتى .

وقد تمكن سكان العراق في الألف الثالث قبل الميلاد وذلك في عهد الملك سرجون من تمثيل بعض الظاهرات الطبيعية المحيطة بهم على خرائط تفصيلية وقبل ذلك في العصر السومري الذي سبق العصر الأكدي ، كانت لدى السومريين خرائط من نوع خاص ، وكان الغرض الأساسي منها تصوير العمليات الحربية ورسم مواقعها .

وبالنسبة لعلم الفلك فمن الأمور المجمع عليها في تاريخ المعرفة البشرية أن البابليين هم الذين اسسوا علم الفلك ، وقد اشتهر الفلك البابلي شهادة عظيمة بين الاغريق ، الواقع أن العراقيين الأقدمين قد عثروا بمشاهدة الأجرام السماوية في سماء العراق الصافية منذ اقدم الاذمان ، وعندما بدأوا يذونون ملاحظاتهم وارصادهم وحساباتهم منذ العهد الأكدي والعهد البابلي القديم انتقلوا من طور المعرفة العملية إلى طور علم الفلك الحقيقي.

وقد استعمل البابليون في فلكهم اقصى ما وصلوا اليه من المعلومات الرياضية حتى انهم استخدمو المتواлиات الهندسية والحسابية في تعين مدة اليوم والنهار واطوالهما بالنسبة لفترات الأربع وقاموا برصد الكواكب السيارة وخاصة كوكب الزهرة ، واجدوا الاسطرلابات وحسبوا ابعاد النجوم بالدرجات ، واستعملوا آلات خاصة لقياس

الزمن وهي الساعات المائية لقياس اجزاء الليل والساعات الشمسية او المزاول لقياس ساعات النهار واستخدام الشهر القمري لقياس تتابع الاشهر

يمكن ايجاز الأسس العلمية للفكر الجغرافي العراقي القديم بما يلي :-

١) ربط الفكر العراقي القديم بين ما يوجد فوق سطح الأرض وما شاهدوه في السماء .

٢) تصورووا الأرض بهيئة نصف كرة مقلوبة او قبة طافية في المحيط .

٣) قسموا السماء إلى طبقات ثلاثة او سبع طبقات ، وميزوا بين تلك الطبقات وقسموا الأرض كذلك إلى ثلاثة طبقات ، الطبقة الأولى يسكن فوقها البشر والثانية وتتوفر فيها المياه والثالثة مقر الارواح .

٤) قسموا سطح الأرض المعروفة لديهم إلى جهات اصلية شرقية وغربية وشمالية وجنوبية.

٥) قاموا بوضع جداول مطولة باسماء المدن والأنهار والبلدان سبقوها فيها بقية الأمم الأخرى ، وتطورت هذه الجداول حتى أصبحت تمثل دليل جغرافي اشبه ما نجده الان في ملخص الأطلس .

* استخدمو علم الجغرافية لاغراض ادارية واقتصادية .

* توصلوا إلى معرفة مسح الأرض الأمر الذي فادهم إلى معرفة رسم الخرائط حتى انهم توصلوا إلى وضع خرائط دقيقة لأكثر المدن العراقية القديمة الأمر الذي سهل ذلك أمام المنقبين .

٦) برزت الجغرافية الفلكية وما يرتبط بها من دراسات فلكية في حضارة العراق القديمة ، في الجوانب التالية :-

ا- يعتبر سكان العراق القدماء مؤسسي علم الفلك .

ب - كان لصفاء السماء العراقية الأثر الكبير في جلب انتباх السكان لمتابعة الأجرام السماوية .

ج. كان لحاجة العراقيين القدماء لضبط الفصول والزمن والتقويم الأثر الكبير في اهتمامهم بعلم الفلك .

د- الاهتمام بالرصد والمتابعة الطويلة لظواهر السماء .

ه - توصلوا إلى تقسيم الوقت إلى نظام يمثل الأساس الذي قام عليه النظام في عصرنا.

و - قسموا السماء إلى اثنى عشر برجاً بواسطة النجوم الثوابت .

ز - استخدام مقاييس للزمن .

٧) من خصائص علم الجغرافية في حضارة العراق استعانتها بالعلوم الأخرى وخاصة الحساب والهندسة .

الفكر الجغرافي في الحضارة المصرية القديمة :

تمثل الحضارة المصرية مركزاً حضارياً يوازي المركز الحضاري في وادي الراافدين من حيث الطبيعة والأسس التي قامت عليها الحضارة.

فالمحفظات الطبيعية في كل من القطرين متشابهة من حيث التأثير والطبيعة المحفوظة للاستثمار بقابليات الإنسان واستثمارها.

ولقد كانت حضارة مصر صرحاً هائلاً كما هو الحال في حضارة العراق ، كما أن آثارها تعتبر مثالية ولما كان الدين في مصر القديمة منظمة تنظيمياً سامياً فان موقف المصريين القدماء ومكانتهم في الحياة كانت كذلك مرتبةً ومنظمةً ، ويتبين مظهر ذلك في صورتين هما تشييد الأهرام الذي طلب بالضرورة مقاييس دقيقة في الدقة ، ثم نظام الري الذي طلب فناً ومهارة ، وفضلاً عن ذلك كله كانت للمصريين القدماء لغةً مكتوبةً ومتطرفةً بدرجة كبيرة.

وهكذا نشأت في مصر عوامل خلق كيانها وتكوين شخصيتها منذ البداية ، فنظام النهر وتنظيم المجتمع والتجانس البشري والقاعدة الأرضية الهائلة بمقاييس ذلك العصر ، مع قوة انتاج واكتفاء ذاتي ، فضلاً عن قيام الصحراء من حولها بالحماية الطبيعية لهذا النظام..

وقد ظهرت الحضارة المصرية منذ عصر ما قبل الأسرات ، أي في الفترة المقابلة لفجر السلالات في العراق منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، وتشير المدونات التاريخية لهذه الفترة الطويلة وبصورة واضحة إلى أفق الفكر الجغرافي للحضارة المصرية القديمة.

ويمكن إيجاز أهم المميزات للفكر الجغرافي المصري القديم في النقاط التالية

١) خلق الأرض : تقوم الفكرة المصرية القديمة لخلق الأرض على أساس أن الوجود جمیعه بما فيه الأرض والسماء قد نشأ من المحيط الأزلي الذي يعتبر بداية الكل خلق .

أن الله الشمس الذي كانوا يعرفونه باسم (آمون رع) ولد من زهرة «لوتس» ، كانت ناصية على سطح المحيط باعتبار أن الماء هو أساس كل شيء وواصل كل خلق ، ثم ارتفع بارزاً من المحيط وقام بخلق آلة الهواء المسمى «شو» ثم جعله يقوم بفصل اخته (نون) (السماء) عن أخيه (كب) (الارض) .

٢) شكل الأرض واختفاء الشمس :

اعتقد المصريون القدماء بأن سال اندرف مستطيل يمتد باتجاه شمالي جنوبي وتشبه أن تكون قاع صندوق طويلاً غير أن سطحها أما مستوى أو مقعر .

واما تفسيرهم لحركة الشمس واحتراقها ليلاً فيقوم على أساس ان الشمس في حركتها تمر مختربة الجبال التي تقع على حافة الأرض ، ثم تتحول إلى قارب ليلاً وتطفو مناسبة على طول نوع آخر من النيل في مقابل السماء او المجرى السماوي ، وحينئذ تبحث عنها الشياطين لتوقفها وتتحول دون حركتها ، ولكن دون جدوى وفي نفس الوقت يبتهمج بها الموتى ويجهلون لزيارتها أيام .

٣) النجوم والكواكب وحساب الوقت :

تمتاز سماء مصر بصفاتها الأمر الذي اغرى الناس بالتأمل في حركات الأجرام السماوية ، خاصة وأن مراكز الحضارة المصرية القديمة برزت في مناطق تمتاز بقلة الغيوم في السماء والتي تحجب رؤية السماء .

قام المصريون بتقسيم منطقة واسعة على طول خط الاستواء إلى ستة وثلاثين قسماً يشمل كل منها أسطع النجوم ومجموعاتها أو أجزاء من هذه المجموعات مما يمكن رصد ظهوره كل عشرة أيام متلاحقة ، وقد أدىت معرفة النجوم والتأمل فيها إلى ظهور فكرة التقويم لدى قدماء المصريين في وقت مبكر ، ويقوم التقويم المصري على أساس النظام الشمسي . ومن العوامل التي دفعت المصريين القدماء إلى متابعة الكواكب والنجوم وموقع الشمس ارتباط موسم الفيضان لنهر النيل بمواعيد ظهور هذه النجوم الأمر الذي قادهم إلى حساب مواقيع هذه النجوم ، وبطولة المراقبة وجدوا أن المدة بين ظهور هذا النجم مرتين متتاليتين تقدر بنحو ٣٦٥ يوماً أو أكثر من ذلك بقليل.

٤) اتساع أفق المعرفة الجغرافية :

كان الموقع مصر اثراً كبيراً في اتساع أفقها الجغرافي ، فموقعها على البحر المتوسط والبحر الأحمر واقترابها من قارة آسيا وارتباطها بقارة أفريقيا كونها تمثل الزاوية الشمالية الشرقية للقارتين أكبر الأثر في اتساع المعرفة الجغرافية .

فقد جمعت بين الإشراف على البحار واتساع حدودها على اليابس الأمر الذي هيأ لها فرصة الاتصال بالعالم الخارجي ، كما أن الوضع السياسي ونضوج فكرة الدولة منذ عصور قديمة وتعرضها للغزوations الخارجية ، وغزوها الدول المجاورة فقد زاد من فكرة اتساع الأفق الجغرافي . وكان من نتيجة ذلك زيادة علاقتها التجارية الخارجية ، فكانت لها علاقات مع العراق وبلاد الشام ، وربطت البحر المتوسط بالبحر الأحمر ووصلت إلى باب المندب ، وحاولوا الوصول إلى المناطق التي يأتي منها النيل ، أما في مجال الرحلات الخارجية فكانت هناك اساطير حول الرحلات الخارجية .

- (أشهر الرحلات للمصريين القدماء رحلة الكشف الكبرى التي تمكنت من الطواف البحري حول إفريقيا في عهد الملك نخاو والتي أشار إليها هيرودوت والتي استمرت ثلاثة سنوات وهنالك من يشك في حدوث هذه الرحلة لأن الملك نخاو لم يقم بتسجيل نتائج تلك الرحلة .)

ينتج منها أن ارتباط مصر بالعالم الخارجي كان قائما بدرجة دفعت المصريين القدماء إلى معرفة العالم الخارجي فساهمت مصر منذ أقدم العصور في مجال الكشوف الجغرافية وخاصة ما يتعلق منها بقارة إفريقية .

الفكر الجغرافي في الحضارة الفينيقية :

المفتاح في تاريخ العلاقات بين الجزيرة وبين الأطراف المحيطة بها يتمثل في حالة الجفاف الذي حل في الجزيرة منذ نهاية آخر العصور الجليدية وما زال في الازدياد والتغيير الدوري منذ ذلك الحين . الواقع أن جميع المنطقة المحيطة بالجزيرة تقاسي الان من قلة المطر .

وكان من نتيجة ذلك نزوح الفينيقيين من موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية ، بعد أن استقروا فترة من الزمن في سواحل الخليج العربي في دلمون (البحرين) حيث وجدت مقبرة فينيقية تدل على استقرارهم فترة من الزمن ، بعدها انتقلوا إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية بعد أن مروا بوادي الرافدين ، الذي أصبح موحدا سياسياً منذ عهد سرجون الأكدي حتى أن بعض الكتاب يرى انهم جاؤوا أصلاً من بابل .

وفي طبيعة الموطن الفينيقي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط نجد نوعاً آخر من العوامل الجغرافية التي أدت إلى ازدهار ذلك الموطن في التاريخ القديم ، والعامل الجغرافي يتمثل في طبيعة الموقع الجغرافي ، الذي يتمثل طريقاً يربط بين الحضارتين القديمتين في كل من وادي الرافدين ومصر والذي يبدأ من وادي الفرات ماراً بوادي نهر العاص ثم ينحدر إلى سهل البقاع إلى أعلى الأردن ، ثم يسهل بعد ذلك اختراق أرض فلسطين ، وقد مررت بهذا الطريق أكبر تجارة عرفها العالم ، إذ يمثل هذا الطريق حلقة الوصل بين الشرق والغرب .

ولما كانت المراكز الحضارية قد اشغالتها طبيعة التكوين السياسي وكثرة الحروب فقد تهافتت فرصه للشعب الفينيقي أن يتجه نحو البحر بعد أن فرضت القوتان العراقية والمصرية سيطرتها على اليابس ، وكان من نتيجة ذلك تأسيس المدن في الشريط الساحلي الذي يساعد على اعطاء حماية طبيعية للمراكز الحضارية ، فهو محصور بين السلسل الجبلية شرقاً وبين البحر المتوسط غرباً .

وهذه الحماية الطبيعية ، قد ساعدته على تهيئة فرصة للشعب الفينيقي لتركيز حضارته التي تمثلت في اهتمامها ببناء السفن والتوجه نحو الصيد والتجارة ، إضافة الحرفة الصناعية التي تطورت على أيديهم الأمر الذي جعلهم يبحثون عن المعادن التي يحتاجونها في صناعتهم وتجارتهم .

ومن خصائص الفينيقيين حسن معاملتهم لمختلف الشعوب فقد اتسموا بالكرم ، والحسني وكان سلوكهم العام يفرض على الغير احترامهم والخضوع لهم بدليل بقاء أسواق الشعوب المتأخرة مفتوحة لهم زمناً طويلاً .

وجدير بالذكر أن الفينيقيين احتفظوا لأنفسهم بسرار الطرق التجارية والمعارف الجغرافية ، حرصا على مصادر بضائعهم ومنابع ثروتهم ورخائهم حتى تظل التجارة دائما في أيديهم دون منازع .

وكان الملاحون الفينيقيون يؤثرون الموت على أن يفضوا بـاي سر من اسرار تلك الطرق التجارية في البحر.

مع ذلك فقد ساهموا مساهمة فعالة في نشر الحضارة إلى مواضع ثانية لم تشرق عليها شمس الحضارة وكان من بين ذلك نشر الحروف الهجائية . وكانوا على صلات حسنة مع الدول المغيرة التي نشأت في جوارهم فكانوا يصنعون لها السفن والاساطيل البحرية.

ومن المراكز التجارية المهمة التي اسسها الفينيقيون صور وصيدا وقرطاجنة وقد اشتهرت هذه المدن بحضارتها وكثرة تجارتها.

اما من حيث الفكر الجغرافي لدى الفينيقيين فيمكن القول أن الجوانب الفلكية يمكن استبعادها وعدم الخوض في الحديث عنها دون وثائق اثرية أو حتى ادلة وشواهد تاريخية ، فلم يؤثر عن الفينيقيين ما يدل على وجود نظرية لديهم بشان خلق الكون او شكل الأرض او ما شابه ذلك .

ولكن اذا ما حلنا الدور الحضاري للفينيقيين نصل إلى نتيجة واضحة تتمثل في احتفاظ الفينيقيين بسرار عملهم التجاري المتمثل في معرفة الطرق التجارية ومواسمها ومواعيدها، الأمر الذي أفضى علينا الكثير من جوانب المعرفة الجغرافية لديهم ويمكن القول أن معارفهم البحرية كانت على درجة متقدمة ، فالطرق البحرية وظاهرة المد والجزر واتجاه الرياح ومواسمها ومعرفة الأحياء البحرية ، وموسم الزراعة وانواعها كلها كانت معروفة من قبلهم.

وأهم ما يمتاز به الفينيقيون رحلاتهم التجارية والاستكشافية سواء اكانت الحسابهم الخاص ام لحساب غيرهم .

فقد عرفوا وجابوا معظم البحار ، فإذا بدأنا في البحر الأحمر الذي عرفه الفينيقيون حق المعرفة ومنه انطلقوا إلى المياه الشرقية او بمعنى آخر المياه الهندية فوصلوا إلى سواحل افريقيـة الشرقيـة والهند حيث عـرف الفينيـقيـون باسم العرب فـسميـ الـبـحرـ هـنـاكـ باـسـمـ (ـبـحـرـ العـربـ)ـ وـعـلـىـ سـواـحـلـ الجـزـيرـةـ العـرـبـيـةـ اـخـتـلـطـ فـيـ تـلـكـ العـصـورـ الـقـدـيمـةـ مـدـلـولـ العـربـ بـالـفـينـيقـيـنـ ،ـ فـكـلـمـاـ خـرـجـتـ مـنـ هـذـهـ السـواـحـلـ رـحـلـةـ تـجـارـيـةـ اـعـتـبـرـتـ فـيـ نـظـرـ الـبعـضـ عـرـبـيـةـ وـفـيـ نـظـرـ غـيرـهـ فـينـيقـيـةـ .ـ

وـهـذـهـ الاـشـارـةـ السـابـقـةـ تعـطـيـنـاـ الدـلـلـ الثـابـتـ مـنـ أـنـ كـلـ الـمـجـمـوعـاتـ التـيـ خـرـجـتـ مـنـ شـبـهـ جـزـيرـةـ العـربـ عـرـبـيـةـ فـيـ اـصـلـهـاـ وـحـيـاتـهـاـ وـحـضـارـتـهـاـ وـارـتـبـاطـهـاـ وـتـسـمـيـتـهـاـ سـوـاءـ أـكـانـتـ مـنـهـمـ مـنـ سـكـنـ فـيـ مـدـيـنـةـ اـكـدـ اوـ بـاـبـلـ اوـ آـشـوـرـ اوـ غـيرـهـ فـهـمـ مـرـتـبـطـوـنـ بـعـرـوـبـتـهـمـ التـيـ تـتـمـتـلـ فـيـ مـوـطـنـهـمـ الـأـصـلـيـ شـبـهـ جـزـيرـةـ العـربـ .ـ

ولم يقتصر نشاط الفينيقيين على البحار الشرقية ، فان نشاطهم في البحار الغربية لا يقل أهمية عن نشاطهم في البحار الشرقية ، فقد قاموا برحلات تجارية استكشافية إلى جميع سواحل المحيط الأطلسي الشرقي ويمكن القول بأنهم اول المجموعات التي وصلت إلى سواحل الجزر البريطانية بل وانهم وصلوا إلى أبعد من ذلك ، فعرفوا الأجزاء الغربية من بحر البلطيق وعرفوا السواحل الغربية لقاره افريقيا.

ومن اهم الرحلات الكشفية الفينيقية رحلة هانوا ورحلة هميلاكو الاولى باتجاه الساحل الغربي لأفريقيا والثانية إلى الساحل الأوروبي .

فاما رحلة هانوا فانها لا ترجع إلى أبعد من عام ٥٠٠ ق . م على وجه التقرير حيث يرى البعض أنها حدثت قبل عام ٤٨٠ ق.م والبعض الآخر نحو عام ٤٧٠ ق.م.

وتعتبر رحلة هانوا اعظم كسب حققه الملاحة الفينيقية وسجلت احداث هذه الرحلة من قبله في معبد مولوك باللغة القرطاجية .

ورحلة هانوا كبقية الاخبار القديمة تمتاز بطبيعة المبالغة ومع ذلك فهي رحلة كثفية جغرافية دون النظر إلى المنطقة التي وصلت إليها.

اما رحلة هميلاكو فقد كانت اول الرحلات لمعرفة شمال الأطلسي ويمكن ان نستنتج مما تقدم اتساع الأفق الجغرافي الفينيقي القائم على اساس معرفة العالم القديم فرحلات الشرق والغرب واتساع تجارتهم ما بين الشرق والغرب قد هيئا لهم فرصة لمعرفة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمعظم انحاء العالم القديم لأن تجارتهم تقوم على اساس نقل ما يتوفّر في منطقة معينة إلى منطقة أخرى تبدوا الحاجة فيها واضحة ، ومعرفة ذلك يتطلب معرفة الطبيعة والسكان والطرق وهذا بحد ذاته يمثل جوانب مهمة من المعرفة الجغرافية ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار طبيعة المرحلة الزمنية ، فالحديث عن ذلك النشاط قد سبق وقتنا بما يزيد على ٣٥٠٠ سنة .